بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تمتد جذور اتصال الاسلام بأوروبا المسيحية فى أعماق التاريخ حتى القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) أى أن عمرها الآن يربو على ثلاثة عشر قرنا من الزمن ؛ ومع ذلك لم يزل الصراع متأججا بينهما ، وان اختلفت أسلحته وتباينت أساليبه فهو أطول صراع دينى فى التاريخ، دينى بكل معنى الكلمة وان أطلق عليه البعض صراعا سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا • لأن الكنيسة وان تنازلت مكرهة عن التوجيه المباشر فى شئون الدولة العلمانية فى أوروبا • فان تأثيرها لم يزل واضحا فى جميع مجالات الحياة فيها • اذ كان من الممكن أن يهدأ الصراع السياسى ؛ لو تحول الشرق الاسلامى الى المسيحية • والدليل على ذلك ما حدث فى ألمانيا فى هذا القرن ؛ فقد شنت حربين عالميتين فى مدى نصف قرن على دول الغرب المسيحية • ومع ذلك فقد انصب غضب أعدائها فى الحرب على أفراد معدودين فقط ــ وهم الذين شنوا الحرب بحكم موقعهم فى مراكز السلطة ــ واقتص منهم ؛ ثم ساعدوا ــ أى الطرف الآخر فى الحرب ــ الشعب الألمانى المسيحى على النهوض من كبوته ؛ لاصلاح ما دمرته الحرب ولو فعل الشرق مثل ما فعلت ألمانيا ؛ لأبيدت شعوبه ابادة كاملة ؛ لأنها تدين بدين غير المسيحية ، تدين بذلك الدين الذى غرست الكنيسة الأوروبية فى أتباعها غريزة الكره له ؛ بما نشرت عنه من معلومات خاطئة • وبما صورته لهم بصورة تنفرهم منه ، وتدفعهم الى معاداته ، والعمل على محاربته ، وملاحقة أبنائه أينما كانوا ؛ وحيثما وجدوا ؛ تدفعهم الى محاربتهم اقتصاديا ، لانهم لو انتعشوا فى هذا المجال لأصبحوا خطرا على أوروبا •

هكذا قالت لهم الكنيسة • وعلمتهم اياه مدارسهم المسيحية ، وأكدته لهم مؤلفات كتابهم • لتدفعهم الى بذل الجهود على كل المستويات ــ فى مجال الثقافة ، والاعلام ، وبين أوساط السلطة التشريعية والتنفيذية ــ

لتغير النظم الاجتماعية القائمة على أساس من الشريعة الاسلامية ، تمهيدا لتحويل المجتمع الى اعتنـاق وتطبيق النظم الأوروبية ؛ لأنهم لو لم يفعلوا ذلك — هكذا لقنتهم الكنيسة الأوروبية — لبقى اتصـال هذه الشعوب بالاسلام قويـا . وربما ازدادت قوته يوما بعد يوم • فيصبحون مصدر تهديد للعالم الغربى •

وما قلق العالم الغربى لمـا يحدث فى ايران ، ولمـا يدور فى الشرق من المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية ، الا انعكاس لمـا رسـخ فى أذهانهم — عبر الأجيال الماضية — من الفزع والرعب من عودة الحياة الى الاسلام ، كنظام شـامل للفرد والمجتمع ، نتيجة لدعاية الكنيسة ؛ عن الاسلام وأهله •

فالصراع السياسى والعسكرى والاقتصادى والاجتماعى يقوم على أساس دينى ، ولهذا اتجه المفكرون فى الغرب الى دراسة الدين الاسلامى ، والكتابة عنه ؛ غير أن الحديث عن الاسلام فى الاوساط الفكرية فى الغرب سـار فى قنوات متعددة ؛ خرج من منبع واحد ؛ هو تعصب الكنيسة وحقدها على الاسلام ، ويبغى هدفا واحدا ألا وهو القضاء على هذا الدين ؛ وان لم يمكن ذلك ، فلا أقل من السيطرة على أتباعه ، ومحاولة اضعاف الصلة بينهم وبين عقيدتهم •

وبين المنبع والهدف اختلفت الاساليب •• وتعددت المناهج :

فآباء الكنيسة اتخذوا الهجوم المباشر أسلوبا ، وتشـويه الحقائق منهجا فجاءت كتابتهم عن الاسـلام مخالفة للواقع ، طافحة بمظاهر التعصب والتحامل ، مما جعل الاسلام يبدو للأوروبيين — حين كانت الكنيسة هى المصدر الوحيد للمعرفة — مخيفا ، والمسلمين وحوشا •

أما المستشرقون (وهم القائمون على كراسى الدراسات الاستشراقية فى الجامعـات التى كان الهدف من انشائها خدمة المستعمرين لأنهم كانوا — وما زالوا — مستشارين لحكوماتهم فى شئون الدول الاسلامية) فقد ادعوا انهم ينهجون المنهج العلمى الحديث فى الدراسات الاسلامية ، لكن بحوثهم دارت فى دهاليز التعصب ضد الاسـلام ، لأن اللاوعى عندهم ملىء بما غرسته الكنيسة فى عقول أسلافهم(١) ومن الانصـاف

---

(١) بدأت حركة الاستشراق فى القرن العاشر الميلادى من الفاتيكان ، فقد كان رجال الدين — وهم تابعون للكنيسة آنذاك — يكونون الطبقـة =

القول بأن الطابع العام أقل حدة مما كتبه آباء الكنيسة ؛ وبأنه ظهر بينهم افراد التزموا الحياد العلمى فى بعض جوانب بحوثهم ، لأنه لا يوجد عالم يستطيع أن يتخلص كلية من آثار مجتمعه الثقافى •

ويلى المستشرقون كتاب القصص والروايات ، وهؤلاء يعتمدون فى تصوير ابطالهم وشخصيات رواياتهم على ما كتبه الرحالة ، وآباء الكنيسة والمستشرقون ، أما المصدر الأول — وهم الرحالة — فقد غلب عليهم خيال جامح ، وخاصة فى القرون الوسطى ، ولا ننسى رائدهم « ماركو بولو » (١٢٥٤ — ١٣٢٣ م) الذى دون رحلته الى الشرق فى جزأين ، حشاهما بغرائب الثراء والأخلاق والأديان ، ولا يقل عنهما ما جاء فى رحلة « شاباى » من ضلالات لا يصدقها عقل بشر ، مثل قوله : « ان للشرقين ثمانية أنامل ورأسين » •

والمصدران الاخيران لم يقدما لكتاب القصص سوى صورة مهلهلة ، ممزقة عن الاسلام فخرجت القصص والروايات بلوحة عن الاسلام والمسلمين طمست معالمها وشوهت جوانب الجمال فيها ، ومحيت معالم الانسانية من خطوطها وألوانها •

فاذا هيأت الظروف لواحد منهم الاطلاع على مصادر اسلامية ، موثوق بها ظهر انعكاسها باهتا فى رواياته وقصصه ، لأن هذا التأثير العابر ، لا يمكن أن يمحو أثرا رسخ فى ذهنه منذ طفولته ، ورواكبه فى مراحل عمره ، ولازمه فى حله وترحاله اذ معرفته عن الاسلام فى طفولته من أبويه — ومصدر ثقافتهما عنه فى الغالب الأعم من كتابات آباء الكنيسة والمستشرقين — وفى المدرسة من مدرس لم يكن أوفر حظا منه فى استقاء معلوماته عن الاسلام ، وفى المجتمع من الصورة المشوهة ، التى رسمتها عدة مصادر ، تساندت كلها فى تشويه صورة الاسلام للمجتمع الأوروبى ، كى تحول بينه وبين التحول الى الاسلام •

وهناك فريق آخر ، كتب عن الاسلام ، ولم يكن الدافع له موقعه

= المتعلمة فى أوروبا فاتجه منهم أناس لتعلم اللغة العربية ليتمكنوا من المجادلة مع فقهاء المسلمين • وقد حمل الفرنسسكانيون والدومينيكانيون لواء هذه الدراسة وكان طابع العصبية واضحا فى بحوث هؤلاء ، ثم ازدادت أهمية هذه الدراسة بعد الحروب الصليبية ، وبلغت ذروتها فى ايام الاستعمار حيث كان المستشرقون يعملون مستشارين فى وزارة المستعمرات •

فى الكنيسة أو عمله كمستشرق ؛ كما انه ليس من هواة كتابة القصص عن الشرق المليء بالاحداث التى تستهوى قطاعا كبيرا من القراء — كقصص « كارل ماى » — ولكنه كتب عن الاسلام اشباعا لرغبة البحث عنه ؛ وتعبيرا عن غريزة الكتابة لديه ؛ ليسهم فى بناء حضارة أمته وليصحح بعض المفاهيم الشائعة بين بنى قومه — من وجهة نظره — حتى يستقيم بناء المجتمع ؛ ويشتد أزر الأمة ؛ وتتجنب الزلل فى تقدمها على طريق الزمن •

ويضم هذا الفريق فلاسفة ؛ واجتماعيين ؛ وسياسيين ؛ واقتصاديين ، ورجال اعلام • وقد تناول كثير منهم الاسلام فى بحوثه • بعضهم عالجه كجزئية ضمن عديد من قضايا بحثه بينما احتل صفحات كثيرة عند الآخرين ، غير أن عددا من الباحثين العصريين كتب مؤلفات ضخمة — وصل بعضها الى عدة مجلدات — عن الاسلام ؛ تختلف فى طابعها ومنهجها عما كتبه المستشرقون وآباء الكنيسة فى العصر الوسيط ، اذ يغلب عليها رغبة المؤلف فى التزام الموضوعية ؛ والبعد عن المهاترات لآباء الكنيسة وترهات المستشرقين ، لكن ظروفه الاجتماعية والثقافية منعت تحقيق هذا الهدف على الوجه الأكمل ؛ فهو وان تشرب بروح النهضة الحديثة ذات الطابع العلمانى الا أنه مشدود بجذور ثقافية ضاربة فى أعماق التاريخ حتى الحروب الصليبية — ان لم تكن أقدم من ذلك — ومكبل بسلاسل اعلامية — سواء كانت اذاعية ؛ أو صحفية ؛ أو نشرات دورية ، أو كتب ثقافية ، وتخصصية — تحجب عنه الجانب الايجابى فى الاسلام ، وتصوره له بصورة تنفره منه ؛ وتبعده عنه اذا ما اقترب يوما من الاسلام بفعل الموجات الليبرالية التى اجتاحت أوروبا فى العصر الحديث :

ان من المستحيل أن يستطيع الأوروبى خلع رداء نسجته عصور طويلة من الحقد والكراهية والكيد للاسلام ، ومن يطلب ذلك ، فهو غير مدرك لطبيعة الانسان والظروف التى كونته ثقافيا وأخلاقيا ولذا فاذا وجد كاتب يعترف للاسلام بجانب ايجابى فى المجتمع ، فعمله خطوة أولى على الطريق لمعرفة الأسلام ؛ دفعته اليها ظروف ؛ اختلفت عن الظروف التى عاشها أسلافه وعلى المسلمين ازاء هذه الظاهرة مراعاة الحقائق التالية :

١ — لا ينبغى أن ينخدع المسلمون ؛ اذا ما قرأوا جملة انصاف

من كاتب ، فيعدوه — بناء على هذه الجملة — من المشيدين بالاسلام ، والمنصفين له لأن ذلك يضر بالدعوة الاسلامية ، حيث تؤثر افكاره السلبية — وما اكثرها — على من يقرأون له بعد سماعهم الحكم عليه بأنه من المنصفين للاسلام .

٢ — لا يوجد كاتب أوروبى وضحت عنده الصورة الكلية للاسلام (باستثناء عدد قليل جدا منهم « جوستاف لوبون » ، « ومحمد أسد » الذى اعتنق الاسلام) وانما هى ومضات أضاءت لهم بعض جوانب الطريق ، وعلى المسلمين — ان هم ارادوا خدمة الاسلام — أن يساعدوا أمثال هؤلاء على كشف ماحجب عنهم بفعل الصراع الدينى الذى استمر قرونا طويلة ، فان تقاعس الدعاة عن هذه المهمة ، فلا ينبغى أن ينتظر من كاتب أوروبى محاط بالظروف التى شرحناها آنفا ، أن يلتزم بالخط الاسلامى من أوله الى آخره .

٣ — ظهرت مؤلفات كثيرة عن الاسلام فى القرن العشرين ، تعرض الكتاب فيها لعناصر القوة فى الاسلام سواء من الناحية : الاستراتيجية — جغرافية ، ومادية وبشرية — أو من الناحية الروحية ، وواجبنا بيان هذه النواحى لشبابنا حتى نخلصه من عقدة الشعور بالضعف وتحريره من الاعتقاد الخاطىء بأن سبب ضعفه ، راجع الى انتمائه للاسلام . كما نحاول الاستفادة من هذه العناصر لنبنى قوة عالمية اسلامية ، تقف على قدم المساواة مع القوى الأخرى .

٤ — كما ظهرت مؤلفات أخرى تناولت حياة النبى — صلى الله عليه وسلم — بالشرح والتحليل ، كما تعرضت للقرآن الكريم فى أحكامه وتعاليمه بالبيان والايضاح وسواء كان الغرض من نشر هذه الكتب تعريف الشعوب الأوروبية بهذا الدين ، الذى يزداد تأثير أتباعه فى مجال السياسة الدولية يوما بعد يوم ، أو تحذيرهم من سيطرة المسلمين على مصادر الطاقة ، فان على المسلمين تحليل هذه الكتب ، وتمييز الافكار الطيبة فيها للثناء على موقف صاحبها فى هذا المجال ، من الافكار الخبيثة للرد عليها وتصحيحها لعل كاتبها يرجع عن رأيه ، والا فلا أقل من تقديم القول الفصل فيها للقارىء .

٥ — لا ينتظر أن تتحول أوروبا الى الاسلام — رغم ما يقال وينشر عن اسلام واحد هنا وآخر هناك ، ورغم ما ينشره السذج من أن أوروبا

تبحث عن الروحانية التى فقدتهـا ولن تجدها الا فى الاسلام ؛ وسوف نصحو يوما (هكذا يحلمون) فنجدها مسلمة من أدناها الى أقصاها — الا اذا تهيأت الظروف لذلك ، وليس هذا سهلا ؛ فهو يتطلب :

* بناء قوة اسلامية عالمية : (اقتصادية — وسياسية — وعسكرية) بحيث تكون غير خاضعة لقوى أخرى فى اتخاذ القرارات الدولية .

* نهوضـا بمستوى الفرد فى المجتمعات الاسلامية ؛ بحيث يفوق مستوى الفرد الأوروبى .

* دعما ماديا غير محدود للمراكز الثقافية — فى البلاد الأوروبية — واسناد قيادتها للقادرين على القيام بمهام الدعوة ؛ لا لمن يسعى لغنم دنيوى .

يجب على المسلم مراعاة هذه الحقائق ؛ عندما يسمع كلمة مدح فى الاسلام أو يقرأ هجوما عليه ؛ كما ينبغى على مراكز الدعوة أن تضع نصب أعينها متطلبات دراسة الظواهر الفكرية ، عندما تدرس لأبنائها طرق وأساليب نشر الدعوة فى بلاد غير اسلامية ، ولا يجوز لهـا أن تقرأ عليهم كلمات المدح ، التى قالها مفكرون غير مسلمين ، وتحجب عنهم ما وقع فيه هؤلاء المفكرون من أخطاء فى حق الاسلام ، لأن الداعية يحتاج الى معرفة النوع الأول للاستشهاد به على هدية الفكر البشرى الى الحق ، كما يجب عليه دراسة النوع الثانى للرد عليه ؛ حتى لا يستفحل خطره بين المسلمين وغير المسلمين ، وسوف تكون هذه هى طريقتنا فى تحليل المؤلفات الأوروبية التى سنعرضها هنا .

والله الموفق .

القاهرة فى ١٢ من ذى القعدة ١٣٩٩ هـ
٣ من اكتوبر ١٩٧٩ م

محمـد عبد الغنى شامة

عرض وتحليل كتـــاب

الإسلام قوة عالمية متحركة

تأليـــف

HERBERT GOTTSCHALK

obeikandl.com

obeikandl.com

التمهيد

ينتمى الكاتبون عن الاسلام فى أوروبا الى أربع طوائف ، وهى كما بيناهـا فى المقدمة كما يلى :

١ ــ آباء الكنيسة
٢ ــ المستشرقون
٣ ــ كتاب القصص والرحلات
٤ ــ أصحاب الاتجاه الليبرالى

وقد رأينا أن نبدأ بتحليل نموذج من الصنف الرابع ، لأنه جديد فى أسلوبه على العقل الأوروبى ، فضلا عن أنه يعلن أنه غير منحاز فى بحثه ، وتلك دعوة ينخدع بهـا المسلمون ، فيأخذون كل آرائه على انها سليمة من الوجهة العلمية • ولذا كان غرضنا من البدء بنموذج منه تنبيه المسلمين على أن هؤلاء ، ان مدحوا الاسـلام فى بعض الجوانب ، الا انهم بحكم تكوينهم الثقافى ــ وقعوا فى أخطاء ، ينبغى على المسلمين ألا يسلموا بها فى نشوة قراءتهم لجوانب المدح •

وقع اختيارنا على كتاب : « الاسلام قوة عالمية متحركة » ••لأن : لعنوانه تأثيرا على نفس القارىء ، وان اختلفت بواعثه ونتائجه ، طبقا لاختلاف عقيدته، وانتمائه الاقليمى على سطح الكرة الأرضية ، فالأوروبى المسيحى ينجذب اليه بدافع من خوفه الداخلى من الاسلام ــ ذلك الخوف الذى غرسته فيه أحداث الحروب الصليبية ــ فهو يريد أن يعرف مدى قوة الاسـلام فى العصر الحاضر !!! ويتبين مدى الخطر الذى يمكن أن يحيق به من هذه القوة الجبارة ، لأنهم أدخلوا فى روعه منذ الصغر أن الاسلام هدد أوروبا فى الماضى ، ويمكن أن يعيد الكرة لو عادت اليه قوته !!! •

والمسلم يميل الى الكتاب لأنه يفصح عن رغبة كامنة فى داخله ،فهو يشعر بضعف المسلمين أمام القوى العظمى ، ويتمنى أن يسترد الاسلام

قوته ليتمكن المسلمون من التحـــرر من تحكم هذه القوى ، فيرفعوا رؤوسهم لتتساوى فى الحقوق الدوية مع من استعبدوهم ، واستغلوهم قرونـــا عدة .

فأردنا عرضه للقارىء المسلم ليقف على مفهوم الأوروبيين للاسلام فى ظل المتغيرات الدولية المعاصرة . ولنذكره — ان كان قد نسى — بأن الاسلام قادر على بناء قوة عالمية فى العصر الحديث ، كما بنى مثيلا لهـــا فى القرون الاولى ولنوضح له — ان كان قد خفى عليه — ان الاسلام يملك من عناصر القوة ما لا يملكه دين أو نظام سياسى آخر فى العالم .

كتب « هربرت جوتشالك » كتابه .. « الاسلام قوة عالمية متحركة » باللغة الالمانية فى ٣٠٤ صفحة بالبنط الصغير ، كما احتوى الكتاب على أكثر من أربعين صورة فوتوغرافية لأشهر المساجد والشخصيات الدينية ، وكذلك .. للمسلمين وهم يؤدون الشعائر الدينية .

والمؤلف ليس من آباء الكنيسة ، ولا من المستشرقين ، بل هو كاتب وصحفى قدمه الناشر وهو OHo Wilhelm, Barch, Verlag Gmbh. بقولـــه :

« ولد « هربرت جوتشالك » فى ٩ / ٦ / ١٩١٩ ، ونشأ فى جنوب بروسيا ، بدأ حياته الجامعية بدراسة الطب ، واستمر فيها حتى وصل الى ما قبل الامتحـــان النهائى حيث استدعى للخدمة الاجبارية فى اثناء الحرب العالمية الثانية . أصيب على الجبهة الشرقية فترك دراسة الطب واتجه الى دراسة الفلسفة وعلم النفس والتاريخ والأدب لمدة سبع سنوات ، جاب فيها دول البلقان ، وكتب كثيرا من المقالات والكتب ومن أشهرها كتاب : « الاسلام قوة عالمية متحركة » وهو يعمل الآن (فى عام ١٩٦٢) — وهو العام الذى ظهر فيه هذا الكتاب — فى احدى دور النشر فى ألمانيا الغربية .

فاذا لم يكن قسيسا يدفعه مركزه فى الكنيسة الى تشويه صورة الاسلام حتى لا تفقد الكنيسة أتباعها واحدا بعد الآخر نتيجة تحولهم الى الاسلام .

واذا لم يكن مستشرقا يبدو ظاهر عمله أبحاثا أكاديمية وباطنه أسلوبا من أساليب تمكين الاستعمار فى العالم الاسلامى .

فما الدافع له الى الكتابة عن الاسلام اذن ؟

يجيب الناشر عن هذا فى نشرته عن الكتاب فيقول :

« كيف يكون ممكنا أن تقوم اليوم هيئات تبشيرية فى قلب العالم الغربى المسيحى ، تدعو الى الاسلام ؟ هل توجد سفينة نوح اسلامية ؟ (يقصد بذلك أن الاسلام ينقذ الغرب من فراغه الدينى ، كما أنقذت سفينة نوح من آمن بدعوته من الغرق) وما هى المبادىء الروحية والفكرية التى تقدمها هذه العقيدة ؟ .

ظهر الاسلام لأول مرة كقوة عالمية متحركة فى القرن السابع الميلادى ، ووصل الى ابواب فيينا مرتين : الاولى فى الحروب الصليبية ، والثانية فى عام ١٦٨٣ م ولكن الأوروبيين تمكنوا فى اللحظة الأخيرة من صده ، ومنع تحويل القارة كلها — حتى بحر الشمال والبحر البلطيقى — الى الاسلام ، واليوم لا يحمل الاسلام السيف ولكن الدعوة اليه تزداد كل يوم ، وتتطور أشكالها .

ويحتم علينا هذا الانتشار العالمى للاسلام — وكذلك الحقيقة الثابتة بأن الاسلام بأتباعه البالغين (٩٠٠ مليون مسلم) (١) ، يمثل القوة العقيدية الثانية فى مواجهة الـ ١٠٠٠ مليون مسيحى فى العالم — أن نتعمق فى دراسة تاريخ الشرق الدينى ، وفلسفته وتصوفه وحضارته وفنه .

وينطلق المؤلف فى بحثه من هذه القاعدة . فيصور لنا طبيعة الحياة فى الجزيرة العربية قبل الاسلام ، ثم يتعرض لحياة النبى صلى الله عليه وسلم وللتعليم التى خلفها لأتباعه كما يتتبع الكتاب بالبحث الانتفاضة السياسية للشعوب الاسلامية حتى منتصف القرن العشرين ويلقى الضوء على تاريخ الحضارة والفن والفلسفة الاسلامية ، ثم تناول بالبحث :

مدى قدرة الاسلام على اقتلاع جذور المشكلة التى تهدد الانسان روحيا وفكريا وتقديمه للانسانية الضائعة نظاما اخلاقيا ينقذها من الانهيار الخلقى .

ومدى التقاء الاسلام الشرقى . للظروف الغربية المهددة .

ويفهم من هذا ان الدافع الى كتابة هذا الكتاب هو ظهور الدعاة الى الاسلام . وقيام المراكز الاسلامية فى الغرب . وخوف المتعصبين

---

(١) لقد صححنا الرقم الذى كتبه المؤلف طبقا للاحصائيات الأخيرة فى العالم بالنسبة للاسلام والمسيحية .

للمسيحية من انتشار الاسلام هناك ، خاصة وأن المجتمعات الغربية تعانى من أزمة دينية وأخلاقية ، فقد أزعجهم :

انتشار المراكز الاسلامية فى المدن الأوروبية الرئيسية :

« انتشرت فئات من هيئات التبشير فى دول أوروبا ، فى هامبورج وفرانكفورت ونورمبرج ، ولندن ، وزيوريخ ، وحتى فى بودابست ، وقد تبلور نشاطها فى تمويل بناء مساجد على احدث طراز ، وانشاء مراكز صحفية وثقافية » (١) .

واهتمام المسلمين بنشر الاسلام فى افريقيا :

« وفى عام ١٩٦١ اعلنت الحكومة المصرية عن عزمها تعيين ملحق دينى فى كل سفارات مصر فى افريقيا ، وينبغى ألا يقتصر نشاطهم على عملهم الرسمى ، وهو الاستشارات الدينية فى السفارة ، بل هم مكلفون أيضا بنشر الاسلام فى افريقيا »(٢) .

وازدياد النشاط الاعلامى للاسلام :

« وكذلك البرنامج الاذاعى « صوت الاسلام » — لعله يقصد بذلك : اذاعة (القرآن الكريم) — الذى أنشىء فى القاهرة ليذيع البرامج الدينية والسياسية فى آسيا وافريقيا السوداء »(٣) .

لابد لنا هنا من وقفة قصيرة ، لنجلو حقيقة الظاهرة ، التى تغيب عن كثيرين ، ألا وهى أن بعض المسلمين المهتمين بالدعوة الاسلامية — وكذلك بعض الحكومات التى تفتقر الى تأييد الجماهير — يعلنون دائما عما يدور فى ذهنهم من مشروعات لنشر الدعوة سواء على الصعيد الداخلى أو الخارجى ، وغالبا ما تكون هذه المشروعات افكارا فقط — أو دعاية لغرض ما — لم تخرج الى حيز التنفيذ . وقد لا تخرج اطلاقا ، كما حدث فى مسألة تعيين ملحق دينى فى السفارات المصرية فى افريقيا ، لكن الغرب يرصد كل همسة فى العالم الاسلامى ، فاذا سمع بمثل هذه الأنباء سارع الى تجنيد الخبراء والباحثين لدراستها من كل الجوانب ، والعمل على وأدها — ومن أساليب الوأد ابعاد الشخص المتحمس لها عن موقع اتخاذ القرار — ان كانت هناك جدية فى تنفيذها وأقرب مثل على ذلك ما حدث فى أوروبا عندما ناقشت لجان مجلس الشعب

---

(١) مقدمة المؤلف ص ٩ (٢) المصدر السابق ص ٩

(٣) المصدر السابق ص ٩

المصرى مسألة تطبيق الشريعة الاسلامية (١) فقد كتبت الصحف تنذر وتحذر ، وجاء العديد من المندوبين يستفسرون ويستطلعون ، وقابل الباحثون ــ الذين أرسلوا خصيصا لهذه المهمة ــ كثيرا من علماء الدين وناقشوهم فى مدى امكانية ــ وجدية ــ تطبيق الشريعة الاسلامية فى العصر الحاضر •

أما فى المراكز الاسلامية ــ المنتشرة فى العالم ــ فأغلبها لا يمثل وجهه النظر الاسلامية ، لانها تابعة للمذهب القاديانى ، وهو مذهب منشق على الاسلام ، ونظرة سريعة على القائمة التى اوردها المؤلف (٢) يتبين لنــا انها قاديانية :

---

(١) وكذلك ردود الفعل التى تجتاح أوروبا فى هذه الأيام نتيجة لأحداث ايران فقد انطلقت اجهزة الاعلام فى تصوير هذه الاحداث بصورة شبح مخيف اطلقت عليــه اسم « الحركــة الاسلامية الجديدة » واحيانا تتهذب فى تعبيرها فتسميهــا يقظة المسلمين •

ولم تقتصر ردود الفعــل على تعبيرات انفعالية تذيــعهــا اجهزة الاعلام بــل تجاوزت الحملــة ذلك فوصــلت الى هيئات رسـمية ، ففى اجتماع عقدته مجموعة الدول الأوروبية فى بروكسل منذ أيام تقرر أن يعقد اجتماع قريب لبحث المشكلة ، التى ظهرت فى هذه الايــام •• وهى مشكلة « يقظة المسلمين » •

كذلك يسهم فى تأجج نار هذه الحملة شخصيات لهــا وزنهــا فى المجــال السياسى الدولى مثل « هنرى كيسنجر » اليهودى ــ وزير خارجية امريكا الســابق ــ فهو يقوم بدور كبير فى حملة التخويف بهذه اليقظــة الاســلامية التى يتحدثون عنها ، ومما قاله فى تصريحاته الأخيرة : ان العالم يجب أن يتيقظ ايضــا ويتنبه الى الاخطــار التى تهدده من وراء قيام حكومة دينية فى ايران •

أما الصحافة •• أوروبية وأمريكية •• وربمــا فى جميع أنحاء العالم لانهــا تستقى اخبارها ومعلوماتها ممــا تنشره وكالات الانبــاء الكبرى التى تثير هذه الحملة الضارية ــ فانها مليئة بالاخبــار والمقــالات والاحصــائيــات والبيانــات عن خطــر هذه الحركــة الاسلامية الجديدة (اخبــار اليوم بتاريخ ٣ / ٢ / ١٩٧٩)

ولعل هذه الحملة توقظ الذين يحلمون بأن أوروبا أصبحت قاب قوسين أو ادنى من اعتناقهــا الاســلام من نومهم وتزيح عن اعينهم غشــاوة السذاجة الفكرية فيخططون للدعوة تخطيطا سليما •

(٢) ص : ٢٩٢ ــ ٢٩٣

Deutschland :

Mission des Islam Hamburg 13, Oderfelder Str. 18.
Ahmadiyya-Mission des Islam. Hamburg-Stellingen, Wieckstr. 24.
Ahmadiyya-Mission des Islam. Frankfurt A.M. Babenhäuser Landstr. 25.
Mission des Islam. Berlin-Charlottenburg, Moschee.

Niederlande :

Ahmadiyya-Mission des Islam. Josef-Israels-Laan 48, Den Haag.
Ahmadiyya-Mission des Islam, Oostduinlaan 79, Den Haag.

Grossbritannien :

The London Mosque, 63 Melrose Road, Southfields SW. 18. London
Mr. Bashir Ahmad Orchard, 36 Mansion House Road,
Glasgow Scotland.

Spanien :

Ahmadiyya Movement. Lista 78. Madrid.
Ahmadiyya Movement. C. Ciudad Real 12, Madrid.

Schweiz :

Ahmadiyya Mission des Islam. Beckhammer 35, Zurich.
Ahmadiyya Mission des Islam F.D. Schweiz und Osterreich Herbstweg 77. Zurich.

Norwegen :

Ahmadiyya Mission des Islam. Tromsögt 19 Oslo.

U.S.A.

2141 Leroy Place, N.W. Washington 8 DC.
4448 Wabash Ave. Chicago 15. III.
613 Locust Street. St. Louis I. Missouri.
2322 Webster Ave., Pittsburgh 19, Pa.
115 W. 116th., Suite 2 New York 24 N.Y.
188 W. 87th. St. New-York 24 N.Y.
1440 N. Curson St. Los Angeles 46. Calif.
Und 13 Weitere Missionen in Amerika.

Obeikandl.com

West Afrika :

The Ahmadiyya Mission House. P.O. Box 418 Lagos Nigeria.
Sowie 32 weitere Missionen in Nigeria.
Ahmadiyya-Movement, P.O. Box 39. Salt Pond, Ghana.
Ahmadiyya-Movement, P.O. Box 11, B.O., Sierra-Leone.
Ahmadiyya-Movement, P.O. Box 167, Monrovia Liberia.
Sowie weitere 43 Missionen in Sierra-Leone.

Ost-Afrika :

Ahmadiyya-Movement. P.O. Box 554, Nairobi Kenya.
Sowie 12 weitere Missionen.

Mittlerer Osten :

Ahmadiyya - Movement. Shaghour Damaskus / Syrien.
Ahmadiyya - Movement - Mount Carmel. Haifa Israel.
Ahmadiyya-Movement. Rose Hill, Mauritius und 4 weitere Missionen in Maurilius.

Ahmadiyya-Movement. 28 Mosque Road, Negombo / Ceylon.

Fernier Osten :

Ahmadiyya-Movement, III. Onnan Road, Singapore Malaya.
Ahmadiyya-Movement. Balakang Ole, 22 Padang. Sumatra / Indonesien.
Ahmadiyya-Movement, Petodtjo ud. Gang VII. No. 10 Djakarta, Java / Indonesien.
Sowie 47 weitere Missionen in Indonesien.
Ahmadiyya-Movement, P.O. Box 30, Jesselton, North Borneo.
Sowie 4 weitere Missionen auf Borneo.

Missionen :

Burma : 1 Mission / Dânemark : 1 Mission Frankreich : 2 Mission / Ghana : 247 Missionen / Libanon : 1 Mission Liberia : 1 Mission / Norwegen : 1 Mission / Schweden : 1 Mission / Sierra-Leone : 44 Missionen Singapur 1 Mission Trinidad : 2 Missionen / Ungarn : 1 Mission.

فهى لا تنشر المبادىء الاسلامية صحيحة • بل ممزوجة بتعاليم مسيحية ، ومع ذلك ينزعج الغرب منها ويعدها هجوما عليه فى عقر داره ، ولو اطلع هؤلاء المنزعجون على خلفيات انشاء هذه المراكز لظهر لهم انها أقيمت بمساعدة الحكومات الاستعمارية لتشوه مبادىء الاسلام الصافية للمواطن الأوروبى حتى تقيم الحواجز بينه وبين اعتناقه لاسلام •

أما المراكز غير الأحمدية — سواء كانت تخضع رسميا للحكومات الاسلامية أو كانت تمول فقط من أموال المسلمين — فهى قليلة بالنسبة للمراكز الأحمدية ، أضف الى ذلك انها لا تقوم بواجبها كما ينبغى ، اذ تتحكم فى تعيين القائمين على المراكز الحكومية اغراض شتى ، ليس منها الحرص على نشر الاسلام فى بلاد غير اسلامية ، كما تخضع المراكز غير الحكومية لأهواء متعددة ، ولذا فالخلاف بينها قائم والنزاع مستمر ، والمصادمات تتعدى حدود المهاترات الكلامية •

أما اذاعة القرآن الكريم ، وان قامت بجهود لا بأس بهـا ، فهى لم تبلغ بعد المستوى الذى ينبغى أن تصل اليه اذاعة تتحدث باسـم الاسلام وسط تيارات تتحدى وتهاجم وتنقض على الاسلام أينما ، وحيثما وجد صوت يقول « لا اله الا الله محمد رسول الله » ••

ورغم هذه الصورة الباهتة للاعلام الاسلامى ، فان الغرب ينزعج عندما تحمل موجات الأثير الى أذنه كلاما عن الاسلام ، لأنه يعرف قوته ، ويدرك امكاناته الخلاقة ، اذا ما حمله رجال مخلصون ، يؤدون دور أسلافهم بأمانة واخلاص ، وقد عبر عن هذا « باول شمتز » بقوله :

« •• سيعيد التاريخ نفسه مبتدئا من الشرق ، عودا على بدء ، من المنطقة التى قامت فيها القوة العالمية الاسلامية فى الصدر الأول للاسلام ، وستظهر هذه القوة ، التى تكمن فى تماسك الاسلام ووحدته الفكرية ، وستثبت هذه القوة وجودهـا اذا ما ادرك المسلمون كيفية استخراجها ، والاستفادة منها ، وستقلب موازين القوى لانها قائمة على أسس لا تتوافر فى غيرها من تيارات القوى العالمية » ••

أدرك المفكر البريطانى « جورج برنارد شو » مدى فاعلية هذه القوة — معارضا بذلك كثيرا من الأحكام السطحية عليها — حين كتب :

« لا يساورنى أدنى شك فى أن الحضارة التى ترتبط أجزاؤها برباط متين ... وتتماسك اطرافها تماسكا قويا وتحمل فى طياتها عقيدة مثل الاسلام ؛ لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب بل ستكون أيضا خطرا على أعدائه ؛ من الممكن أن يعارض المرء هذا الرأى ، بأن الاسلام فقد سيطرته على بعض الأشياء المادية وخاصة ما يتصل بالحرب ؛ فهو لم يلحق بالتقدم التكنولوجى الحديث .

لا أستطيع أن أدرك ؛ لماذا لم يعوض الشرق الاسلامى ما فاته فى هذا الميدان ؟ فلا تحتاج علوم الهندسة الحديثة الى طبيعة عقلية خاصة ، بل يتطلب الالمام بها والتفوق فيها الى الخبرة ، وتوجيه الخبراء . ومن الأمور المؤكدة انه غالبا ما يحدث ان تكون حضارة أخرى ، ذات منزلة عالية فى التقدم التكنولوجى ، أقل درجة من حضارة لم يبلغ بعد تطورها فى هذا المجال ما بلغته الأولى .

اذن فهناك احتمال كبير أن يصبح شعب — ظهر حتى الآن أن مواهبه فى الناحية التكنولوجية ضعيفة — فى المستقبل سيدا على شعب آخر . استولت التكنولوجيا على حواسه ومشاعره — فلم ينقذه أحد — وتحمكت فى سلوكه النظريات التى تسلب الانسان الاحساس بالطبيعة .

لماذا لا يتعلم العالم الاسلامى ما تعلمناه فى مجال التكنولوجيا ؟ وفى مقابل هذا سوف يكون من الصعب علينا استعادة التعاليم الروحية — وهو من العوامل الأساسية لوحدة أوروبية — التى فقدتها المسيحية ، بينما لم يزل الاسلام يحافظ عليها »(١) .

كانت هذه القوة هى احدى الدوافع ، التى دفعت « جونتسالك » لكتابة مؤلفه : « الاسلام قوة عالمية متحركة » كى يبين لبنى وطنه مراكز القوة فى الاسلام. فهو يقول : « لا ينبغى للمرء أن ينسى ان الاسلام استولى على تراث العصر الكلاسيكى ، فهضمه بأسرع ما يمكن ؛ ثم طوره ؛ ومزجه بتعاليمه الخاصة — بحيث لم يستحسنها المتدينون فحسب ؛ بل يميل اليها كثير من العلمانيين — فصاغه فى صورة إسلامية بحتة ؛ بحيث اصبح تعبيرا عن ذاتية اسلامية ، لها صفة الدوام والاستمرار ؛ إذ لم تبل قوته الروحية ولا تأثيره الشامل على الغرائز الانسانية ولا تصوفه المهيمن على اتباعه ... لم يبل كل هذا على مدى

---

(١) الاسلام قوة الغد : ص ٣٢٣

تاريخ تطور مجتمعاته ؛ كما هو الحال فى الأديان الأخرى . بل احتفظت بفاعليتها دائما حتى فى اثناء قرون الانتكاسة التاريخية لشعوبه ، بل زادت اخيرا فى فترة ضعف الناحية الروحية بين شعوب العالم الغربى ؛ ولكى نبين مدى حتمية هذه القوة وترابطها جغرافيا وانسانيا ، ينبغى أن نوضح كل خلفيات هذه العقيدة .. وبالاضافة الى هذا نطرح على مائدة البحث التساؤل عن مركز القوة الشاملة فى الاسلام أو عن المبادىء ، التى يمكن ان تنقذ البشرية ، لأن معالجة هذا التساؤل سوف يبين عما اذا كان من الممكن — كما يدعى المسلمون — أن تنمو الناحية الروحية فى المجتمع بواسطة الالتزام بهذه العقيدة ، وتطبيق نظامها الاجتماعى ؛ وعما اذا كانت قوة الاسلام الاصلاحية ، لا تزال لهـا الأثر الفعال فى المجتمع المعاصر »(١) .

الغرب مهدد بانهيار أخلاقى ، والاسلام يقف شامخا بين هذه التيارات الهدامة المتصارعة ، له ملاض مشرق فى انقاذ المجتمعات من الانحدار فى أودية الهلاك ، ومع ذلك يخشى الغرب أن تحل تعاليمه محل دين الكنيسة ، فتظهر المؤلفات تحمل طابع البحث العلمى المحايد ؛ وتستهدف وقف المد الاسلامى بين شعوب الغرب ؛ فهى ذات وجهين :

أولهما : رغبة الكتاب — ومنهم مؤلف كتاب « الاسلام قوة عالمية متحركة » — فى شرح وتحليل مبادىء الاسلام دون التحامل عليه ، وهى ظاهرة لم تكن موجودة فى العصور السابقة ، غير أن ثقافتهم وخلفيتهم الاجتماعية ، تقودهم الى عدم فهم بعض التعاليم الاسلامية أو الى معالجتها من وجهه النظر ، التى اكتسبوها من دراستهم ومجتمعهم ، فيهووا الى ساحة ينسون فيها ما لقنتهم اياه النهضة الحديثة من الالتزام بالواقعية فى البحث ، والتحرر من العواطف والانفعالات فى الحكم على الأشياء .

ثانيهما : محاولة اظهار ان بعض تعاليم الاسلام تتعارض مع متطلبات العصر الحديث ولذا فهى لا تصلح كلها للتطبيق فى المجتمع المعاصر .

سوف نبين فى عرضنا كلتا الناحيتين ، مع الرد على مزاعمهم وتصحيح ما وقعوا فيه من أخطاء .

---

(١) ص ١٠ — ١١.

وسنقتصر فى ردنا على جانب الدفاع عن الاسلام ورسوله ، ضاربين الصفح عن محاولة تبرير ما يرتكبه بعض المسلمين من اخطاء من وجهة النظر الاسلامية ، معرضين عن الدفاع عما يقع فى داخل المجتمعات الاسلامية ، من اعمال لا تتفق مع روح الاسلام ، وان ارتدت الثوب الاسلامى ، وتلفعت برداء الانتماء الى الاسلام ، لأن الدفاع عن المبادىء جوهرى ، ومقدم عندنا على كل ما عداه فالاسلام مبادىء وليس اشخاصا ، وهو نظام للحياة مؤسس على ما فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، ولا يضاف اليهما ما يمارسه المسلمون — أى لا ينبغى أن يتخذ حجة على الاسلام — الا ان طابق ما جاء فى هذين المصدرين .. ولا يحسب على الاسلام ما تطبقه المجتمعات الاسلامية من نظم واحكام ، لا تتفق مع روح نصوص الوحى المنزل من عند الله ، وان انطلقت الالسنة فى تبريرها وتجويزها مهما كانت ادلة هذا التبرير ، وسند هذا التجويز .

قسم « Gottschalk » كتابه « الاسلام قوة عالمية متحركة » الى أحد عشر بابا وهى :

١ — حياة العرب قبل الاسلام

٢ — حياة محمد صلى الله عليه وسلم

٣ — القرآن الكريم

٤ — تراث محمد صلى الله عليه وسلم

٥ — التوسع السياسى

٦ — اسهام الاسلام فى الحضارة العالمية .

٧ — الفن الاسلامى

٨ — الفلسفة والتصوف

٩ — مفاهيم دينية فى الاسلام وفى أديان الشرق الأقصى .

١٠ — الاسلام والمسيحية

١١ — مستقبل الاسلام

وسوف نعرض ملخصا لأفكاره فى كل باب على حدة ، مع مناقشة ما وقع فيه من أخطاء من وجهة النظر الاسلامية ، مكتوبا بخط مميز أو فى الهامش .

* * *